

# يا أهلنا في غزة: لا تهنوا ولا تحزنوا

عبد الآخر حماد

يواجه أهلنا في غزة حرب إبادة حقيقة من قبل أعداء الله من اليهود الملاحين، في ظل تواطؤ دولي مريب، وعجز عربي رسمي رهيب، وغليان في الشارع العربي لا يجد له صدى عند أولى الأمر الذين قالت عنهم صحيفة ألمانية: "إنَّ قَدْرَهُمْ أَنْ يَقْفُوا مَتَفْرَجِينَ عَلَى مَا يَحْدُثُ فِي غَزَا"، وها هو اجتماع وزراء الخارجية العرب ينتهي كما كان متوقعاً بلا شيء ولا حتى الاتفاق على عقد قمة عربية، مع أنه ليس متوقعاً من تلك القمة في حال انعقادها أن تنصر الشعب الفلسطيني بشيء.

إن القلب ليعتصر حزناً وألماً على هذا الذي يجري في غزة، ومما يزيد في المرارة والألم أن نرى أصواتاً تخرج من هنا وهناك تحمل إخواننا في غزة مسؤولية هذا العدوان، وكأن اليهود كانوا هم المسالين الوادعين الذين لم يحتلوا أرض غيرهم، ولم يخرقوا الهدنة التي كانت بينهم وبين الفصائل الفلسطينية مائة وخمس وتسعين مرة في غزة وحدها خلال فترة التهدة التي بدأت في أواخر يونيو 2008 واستمرت ستة أشهر.

إن هذه الجازر التي تشهدها غزة اليوم ليست إلا حلقة من سلسلة طويلة من محاولات اليهود لإخضاع شعبنا في فلسطين وكسر إرادته وفرض الأمر الواقع عليه، ولكن غزة التي صمدت أمام كل محاولات اليهود وقدمت من قبل آلاف الشهداء ستصمد بإذن الله في وجه تلك الهجمة الشرسة وستخرج منها أصلب عوداً وأكثر قدرة على التحمل والاستمرار في المقاومة.

لقد أثبتت الدروس الماضية فشل ما راهن عليه هؤلاء المجرمون من أن سياستهم القمعية ستؤدي في النهاية إلى ركوع الشعب الفلسطيني وخضوعه لمطالب اليهود، فها هم أبناء فلسطين يواصلون جهادهم بما يستطيعون، وها هم الصهاينة يجدون أنفسهم أمام

حرب استنزاف طويلةٍ، قد تكون خسائرهم فيها قليلة لكن استمراريتها تقض مضاجعهم وتؤرق جفونهم .

### جوانب إيجابية في هذا العدوان :

إن هذا العدوان مع كل ما يحمله من جوانب الحزن والأسى إلا أن فيه أموراً إيجابية مهمة : منها أن تورط الجيش الإسرائيلي في مثل هذا العدوان فيه دليل على يأس قادة العدو مما كانوا يراهنون عليه من الاقتتال الفلسطيني والتخلص من الحركات الإسلامية المجاهدة بيد أطراف فلسطينية، فلما طال بهم الأمد وفشلت مخططاتهم في ذلك اضطروا إلى أن يقوموا بذلك بأنفسهم، فصارت المواجهة مكشوفة، وبات العدو واضحاً أمام الشعوب العربية والإسلامية.

ثم إن فيه درساً لدعاة التطبيع من بني جلدتنا الذين يظنون أنه يمكن أن تكون هناك علاقات طبيعية مع قوم طبعهم الغدر والخيانة ناسين أن الطبع يغلب التطبع وأن من ينتظر من أولئك المعتدين خيراً فهو مكلفٌ للأشياء ضد طباعها، وإنّ مثلنا ومثلهم كمثل ما زعموا في أساطير الأولين من أن ضفدعاً أرادت ذات مرة أن تعبر جدول ماء فرأها عقرب وهي تم بالسباحة فتوسلت إليها أن تحملها على ظهرها فتعبر معها الجدول، فقالت لها الضفدع : ولكنك أيتها العقرب غادرة لئيمة وأخشى إن حملتُك أن تلدغيني ونحن في عرض الماء، قالت العقرب : لا يمكنني أن أفعل ذلك لأني إن لدغتك فسوف نغرق معاً، وهل أنا جاهلة حتى أهلك نفسي، واقتنعت الضفدع بكلام العقرب، وبأن مرحلة جديدة من تطبيع العلاقات بينهما قد بدأت، فحملتها وسبحت بها في الماء، وفي وسط الجدول حدث ما لم تنتظره الضفدع فقد لدغتها العقرب لدغة مميتة، وحين كانا منحدرين إلى القاع نحو هلاك محقق قالت الضفدع : لم فعلتِ هذا أيتها العقرب ؟ أو لم نكن قد تعاهدنا على أن لا نخونى ؟ قالت العقرب : بلى تعاهدنا، ولكنه الطبع يا أحمية يغلب التطبع !

### فيا أهلنا في غزة:

لقد اختاركم الله عز وجل لتكونوا المواجهين لأعداء الله عز وجل في هذه المرحلة، فلا تهنوا ولا تحزنوا ولا يفتن في عضدكم تحاذل المتخاذلين ولا لوم اللاتمين، ولا شماتة

الشامتين ،واستعينوا بالله واصبروا واذكروا قول الله عز وجل : ( يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ) . [الأنفال:45]

ولا يهولنكم ما تقدمونه من تضحيات ،فتلك ضريبة التمسك بالحق والاستعلاء به ،والله تعالى يقول : ( ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون ) [النساء : 104]

وإن من أكبر الجرائم التي ارتكبت في حق هذه الأمة ،ما أشاعه البعض من أنه لا سبيل لمواجهة هذا الكيان الصهيوني لأن وراءه أمريكا التي لا نستطيع قتالها،بينما الحقيقة أنه مهما بلغت قوة العدو فإن من يصبر على الجهاد من أجل نيل حقوقه سيجد ألف طريق وطريق لإحداث النكايه في عدوه إلى أن يأذن الله بنصر شامل يعز فيه الحق وأهله ويقمع فيه الباطل وأهله ؛إذ يمكن أن تكون أداة الجهاد بندقية قديمة من طراز عام 1942 ،أو أن تكون عبوة ناسفة يدوية الصنع ،أو صاروخاً محلي الصنع ،كما هو الواقع الآن في فلسطين المسلمة ،إذ لا شك أنكم يا إخوتي في حالة دفع عن الدين والأرض والعرض لا تحتل التأخير وهي حالة لا يشترط لها من القدرة ما يشترط لجهاد الطلب ،يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (( وأما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمه والدين ،فواجب إجماعاً ،فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه ،فلا يشترط له شرط بل يدفع بحسب الإمكان )) . [الاختيارات الفقهية : ص :309].

## سلاح الشهادة

ثم إن لدينا مع ذلك كله سلاحاً عظيماً لا يزال رغم قدمه يطاول أعنى ما اخترعته قوى الشر من وسائل الفتك وأدوات التدمير،وهو سلاح لا يمكن لتقنيتهم أن تخترع له مضاداً،ولا يمكن لوسائلهم الشيطانية أن تبطل أثره ومفعوله ،وأعني به سلاح الشهادة والحرص عليها ،ذلكم السلاح الذي يحمل صاحبه على التغرير بنفسه والتضحية بها ،طلباً لمرضاة الله تعالى ورغبة في إحداث نكايه في عدو أو تحقيق مصلحة للمسلمين .  
وقصار النظر هم الذين لا يرون في ذلك إلا نوعاً من الإلقاء باليد إلى التهلكة ،أما أهل العلم والفقهاء فيعلمون أن إهلاك النفس في سبيل الله هو السبيل إلى إحيائها الحياة الحقيقية ،على حد قول القائل :

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد \* لنفسي حياةً مثل أن أتقدما  
وأبلغ منه قول الله تعالى : ( ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم  
يرزقون). (آل عمران : 169) .

وتالله لو لم يكن للشهادة من فائدة إلا نيل رضا الله والجنة لكان ذلك سبباً كافياً  
للحرص عليها والعمل على نيلها ، ومع ذلك فإن حوادث التاريخ والواقع يدلان على أن  
للتضحية بالنفس أكبر الأثر في الحط من عزيمة الأعداء وإشعارهم بالهزيمة، إذ ما عساهم أن  
يفعلوا مع شخص يطلب الموت كما يطلبون الحياة .

فسلام على شهدائنا في غرة وهنيئاً لهم ما نرجوه لهم عند الله من الفوز العظيم  
،وتحية إعزاز وإكبار لإخواننا الصامدين في أرض الرباط ،ودعاء خالص إلى الله عز وجل  
أن يكف عن إخواننا بأس القوم المجرمين ،وأن ينصر الإسلام وأهله إنه سميع مجيب .

عبد الآخر حماد

1430/1/5هـ